جامعة أبي بكر بلقايد

 كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعي

شعبة الأنترووبولوجيا

مقياس : نصوص أنتروبولوجية

المستوى: ماستر 1

الأستاذ: بن معمر عبدالله

النص1

إن أهمية الانتشار قد تم البرهنة عليها بفضل الدراسات حول الثقافة المادية، والاحتفالات، والفن، والأسطوريات الأمريكية، وحول الأشكال الثقافية لإفريقيا أو حول ما قبل التاريخ لأوربا، والتي لا يمكن أن ننكر وجودها في سياق تطور كل الأنماط الثقافية المحلية. لم يتم البرهنة على الانتشار موضوعيا بواسطة دراسات مقارنة فقط، ولكن الإتنولوجي لديه العديد من الشواهد التي تبين الطريقة التي تم بها الانتشار. إننا نعرف حالات حيث أن فردًا واحدًا أدخل نسقا كاملا من الأساطير المهمة؛ مثل قصة أصل الغراب، والتي لا نجدها إلى في قبيلة واحدة في شمال جزيرة فونكوفر [...] لا ينبغي النظر إلى إدخال أفكار جديدة على أنها نقية ومضافة ميكانيكيا إلى مجموعة ثقافية، ولكن أيضا كمحفز هام لتطورات داخلية جديدة. إن الدراسة الاستقرائية الخالصة للظواهر الإثنية تقود إلى النتيجة التي مؤداها أن الأنماط الثقافية المركبة التي تكون جغرافيا أو تاريخيا واسطة بين طرفين تثبت وجود الانتشار.

  **بواس**

 أورده هيرزجوفتش في:

 Les bases de l’anthropologie culturelle,

 Payot, Paris, 1967, p. 208.

 **أ)-التعريف بصاحب النص:**

ولد فرانز بواس Franz Boas عام 1858 في ميندن (وستفاليا) ودرس الرياضيات والفيزياء في عدة جامعات ألمانية. بعد أن ناقش رسالة دكتوراه عن تغيرات لون الماء (1881) رحل إلى الشمال الكندي مدفوعا بحبه للجغرافيا ورغبته في رؤية العالم، إضافة إلى رغبة أخرى في دراسة تأثير البيئة على نمط حياة وتفكير الشعوب المحلية. بين 1883 و1884 تنقل في أرض بافان وعاش مع الإسكيمو في منطقتهم الوسطى حيث اقتنع بأن التاريخ واللغة والثقافة تلعب دورًا يفوق الظروف الطبيعية.

لدى عودته إلى ألمانيا عين أستاذا في جامعة برلين حيث اطلع على أعمال ف. راتزل وعمل في المتحف الإتنوغرافي إلى جانب باستيان. استفاق اهتمامه بثاقافات الشاطئ الشمالي الغربي لدى رؤيته مجموعة من هنود بيلاكوولا تم إحضارها إلى برلين عام 1885، فقدم له المتحف الوسائل اللازمة وغادر عام 1886.

كان للاستقبال الذي لقيه بواس في نيويورك بعد رحلته هذه أثر دفعه إلى الاستقرار في الولايات المتحدة واكتساب الجنسية الأمريكية، مارس التدريس في جامعة كلارك وشارك كممثل لقسم الإتنوغرافيا في معرض شيكاغو العالمي (1892) ثم في تنظيم المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي في نيويورك، كما عهدت إليه جامعة كولومبيا بتدريس الأنتروبولوجيا الطبيعية عام 1896، ثم أصبح أستاذا للأنتروبولوجيا فيها ابتداءً من عام 1899.

إلى جانب مهامه الجامعية كان يقوم بمهمات أمين المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي، وترك المتحف عام 1905، وأشرف حتى تقاعده عام 1937 على الإعداد الفعلي لكامل الإتنوغرافيا الأمريكية التي كان أشهر ممثليها طلابه في وقت أو آخر، عام 1912 ساهم بواس في تأسيس المدرسة العالمية لعلم الآثار والإتنولوجيا في المكسيك، وإليه يعود الفضل في إنجاز أول دراسة تصنيفية عن ثقافات وادي مكسيكو بين 1919 و1922، عمل بواس لدى هنود البويبلو، وتوفي عام 1942.

عدا عن كون بواس ناشرا للعديد من الأعمال ومشرفا على الكثير من المشاريع الجامعية، فهو مؤلف لعدد ضخم من الأعمال التي تغطي كل ميادين الأنتروبولوجيا (قام كروبر بجمع أعماله كاملة سنة 1943).

من أهم أعماله **"**العرق واللغة والثقافة**"** 1940، الذي يذهب إلى أنّ اللغة والثقافة تلعبان في الفروقات بين الشعوب دورًا موازيا في أهميته للوراثة العضوية ولقد كان بواس من أوائل من فهموا بأن إتقان اللغة هو وسيلة أساسية للبحث الإتنولوجي.

ترجم بواس آلاف الصفحات من نصوص الشعوب المحلية التي جمعها هو أو تلاميذه أو مساعدون هنود قام بإعدادهم.

**ب-فهم النص**

**1-تفكيك النص**

- أهمية الانتشار الثقافي ثم البرهنة عليها بفضل الدراسات حول الثقافة المادية (الأدوات) والاحتفالات والفن والأسطوريات الأمريكية، وحول الأشكال الثقافية لإفريقيا أو حول ما قبل التاريخ لأوربا. والذي لا يمكن أن ننكر وجوده في سياق تطور كل الأنماط الثقافية المحلية.

- الانتشار لم يتم البرهنة عليه موضوعيا بدراسات مقارنة فقط ولكن هناك شواهد عديدة لدى الإتنولوجي تبين الطريقة التي تم بها الانتشار. فهناك حالات تم فيها إدخال نسق كامل من الأساطير المهمة بواسطة فرد واحد؛ مثال ذلك قصة أصل الغراب التي نجدها في قبيلة واحدة في شمال جزيرة فانكوفر.

- الانتشار لا يتم بشكل ميكانيكي وآلي بل إنّ العناصر الثقافية المضافة تدخل كمحفز هام لتطورات داخلية جديدة.

- الدراسة الاستقرائية الخالصة للظواهر الإثنية تقود إلى النتيجة التي مؤداها أن الأنماط الثقافية المركبة التي تكون جغرافيا أو تاريخيا واسطة بين طرفين تثبت وجود الانتشار.

**2-الكلمات المفتاحية:** الانتشار، تطور الأنماط الثقافية.

**3-الفكرة العامة:** أهمية الانتشار في تطور الثقافات.

**4-الإشكال:** كيف تتطور الثقافات؟

**جـ-المقالة:**

1)- لا توجد ثقافة إستاتيكية راكدة، بل كل الثقافات تتطور وإن اختلفت درجة التطور من مجتمع لآخر، هذه حقيقة مسلم بها ولا يختلف حولها اثنان، ولكن العوامل المحركة لهذا التطور هي التي تثير الخلاف بين الأنتروبولوجيين، بل هي التي قسمتهم إلى مدارس، بواس أحد هؤلاء الأنتروبولوجيين قدم تفسيرا للتطور الثقافي، فبماذا فسره يا ترى؟

2- الثقافات تتطور عن طريق الانتشار. والعبارة الدالة على ذلك قول بواس : **"**إن أهمية الانتشار قد تم البرهنة عليها [...] والتي لا يمكن أن ننكر وجودها في سياق تطور كل الأنماط الثقافية المحلية**".**

3- للبرهنة على هذه الأهمية للانتشار يورد بواس الأدلة التالية: أهمية الانتشار الثقافي ثم البرهنة عليها بفضل الدراسات حول الثقافة المادية (الأدوات) والاحتفالات والفن والأسطوريات الأمريكية، وحول الأشكال الثقافية لإفريقيا أو حول ما قبل التاريخ لأوربا. والذي لا يمكن أن ننكر وجوده في سياق تطور كل الأنماط الثقافية المحلية.

والانتشار لم يتم البرهنة عليه موضوعيا بدراسات مقارنة فقط ولكن هناك شواهد عديدة لدى الإتنولوجي تبين الطريقة التي تم بها الانتشار. فهناك حالات تم فيها إدخال نسق كامل من الأساطير المهمة بواسطة فرد واحد؛ مثال ذلك قصة أصل الغراب التي نجدها في قبيلة واحدة في شمال جزيرة فانكوفر.

والانتشار لا يتم بشكل ميكانيكي وآلي بل إنّ العناصر الثقافية المضافة تدخل كمحفز هام لتطورات داخلية جديدة.

وأخيرا الدراسة الاستقرائية الخالصة للظواهر الإثنية تقود إلى النتيجة التي مؤداها أن الأنماط الثقافية المركبة التي تكون جغرافيا أو تاريخيا واسطة بين طرفين تثبت وجود الانتشار.

4)- قبل الحديث عن الانتشاريين أمثال جرايينر، والأب شميديت، وإليوت سميث وبيري وريفرز وغيرهم بوصفهم الممثلين الحقيقيين لهذه المدرسة، تجدر الإشارة إلى أن فكرة الانتشار لم تكن من إبداعهم، فعلاوة على ما ذكرناه سابقا بشأن التطوريين، فإن الفكرة قال بها جابريال دو تارد(1843-1904) فيلسوف القانون وعالم الاجتماع الفرنسي صاحب كتاب "قوانين المحاكاة" الذي كان له تأثير عميق في بواس ومن خلاله في عدد لا بأس به من الأنتروبولوجيين الأمريكيين، فقد أكد تارد الانتشار في كل مراحل التاريخ[[1]](#footnote-2). وفكرة الانتشار أيضا كانت موجودة عند هامي Hamy في فرنسا، وشولتز – سيلاك Scheltz-Sellack في ألمانيا، عند الأركيولوجيين الإسكندنافيين، وفي إنجلترا مركز النظرية التطورية بامتياز هناك الآنسة بوكلاند Melle Bukland، فقد ذهبت إلى الحضارة لم تكتسب أبدا بطريقة مستقلة، فقبل إليوت سميث زعيم المدرسة الانتشارية في إنجلترا اعتقدت بوكلاند أن عبدة الشمس والأفاعي قد نشروا الزراعة والحياكة وصناعة الخزف والمعادن في كل أرجاء الأرض[[2]](#footnote-3).

وهناك فردريك راتزل F. Ratzel (1844-1904) عالم الحيوان الجغرافي الألماني، يقول عنه روبير لووي: "لم يشدد أحد على قوة التاريخ أكثر مما فعل راتزل... وهو يتساءل أيضا إذا كان ممكنا لزهرة اللوتس Lotus من أن تصبح رمز البوذية في أرض منغوليا الجرداء بدون الاحتكاك بالهند"[[3]](#footnote-4).

والمدرسة الانتشارية ظهرت كرد فعل على آراء المدرسة التطورية، فإذا كانت هذه الأخيرة تؤكد على النشأة المستقلة للثقافة، وتطورها الذاتي في أي مكان شرط أن تتوفر العوامل الملائمة والشروط الكافية من المرور من مرحلة دنيا إلى أخرى أعلى وأكثر تطورا، إذا كانت هذه إحدى المسلمات الأساسية لدى التطوريين، فإن فئة من الأنتروبولوجيين وهم من يطلق عليهم اسم الانتشاريين ذهبوا إلى أن انتشار السمات الثقافية بين الثقافات المتباعدة أو القريبة يساعد على تهيئة الشروط الكفيلة بإحداث التغير الثقافي أو الانتقال من مرحلة إلى أخرى، ولذلك فهم يؤكدون على الاحتكاك أو الاتصال الثقافي أو التفاعل بين الجماعات وبالتالي انتقال السمات الثقافية أو انتشارها من مجتمع لآخر.

وتبعا لفكرة الانتشار هذه يفسر التشابه الثقافي بين مجتمعين أو أكثر بانتشار سمات ثقافية من هذا المجتمع إلى آخر نتيجة عوامل متعددة ومتنوعة كالحروب والغزوات أو الهجرة أو التجارة أو غير ذلك من الوسائل.

وتنقسم المدرسة الانتشارية إلى ثلاثة فروع: الأول في بريطانيا والثاني في ألمانيا والثالث في أمريكا[[4]](#footnote-5).

لكن قبل الحديث عن كل فرع على حدة يجدر بنا تحديد المسلمات الأساسية التي تجمع الانتشاريين عامة رغم الاختلافات الثانوية فيما بينهم وهي كما يلي:

أولا: إن الثقافة بجميع مكوناتها وعناصرها المادية والفكرية والاجتماعية لا تنشأ عن النمو التلقائي الناتج عن تشابه الإمكانيات الاجتماعية والطبيعية الإنسانية بل عن الاستعارة والانتقال من مكان إلى مكان آخر. فالثقافات لا تنشأ وتتطور في إطار العزلة بل دائما في إطار الاحتكاك بغيرها من الثقافات.

ثانيا: عجز العقل البشري عن الإبداع؛ بمعنى أن أنصار هذه المدرسة يرفضون القدرة على الاختراع والإبداع الثقافي بالنسبة لكل مجتمع على حدة، فمن غير المعقول أن تتمتع كل شعوب الأرض بقدرات متماثلة على الخلق والابتكار، ولكنها تستطيع بسهولة أن تستعير من غيرها ما تعجز عن ابتكاره بنفسها[[5]](#footnote-6).

ثالثا: الميل إلى التفسير التاريخي للثقافة: فهم يرون أن التاريخ الفعلي لتطور الثقافة أكثر تعقيدا من أن يصور في لوحات تبسيطية ذاتية، كتلك التي قدمها مورغان، فكل شعب وبالتالي كل ثقافة تتعرض لتأثيرات خاصة، نتجت عن الاحتكاك مع الجيران، ولذلك فإن الثقافة تقتضي البحث في ماضيها.

1. ***المدرسة الانتشارية الإنجليزية****:*

أنصار هذه المدرسة البارزين أو بالأحرى زعماؤها هم إليوت سميث G.Eliot Smith (1871-1937)، وتلميذه بيري W. J. Perry (1888-1949)، وريفرز W.H.R.Rivers (1864-1922).

أرجعت هذه المدرسة نشأة الحضارة الإنسانية كلها إلى مصدر أو مركز واحد وعن طريق الاحتكاك الثقافي بين الشعوب سواء عن طريق التجارة أو الغزوات أو الهجرة، انتشرت عناصر تلك الحضارة المركزية أو الرئيسة واتسعت دائرة وجودها[[6]](#footnote-7). المركز الأوحد لكل حضارة متطورة هو مصر، هكذا قرر إليوت سميث الذي أقام بعض الوقت في القاهرة، هذا الرأي يشاركه فيه تلميذه بيري أيضا. وهناك ثلاثة مبادئ كان يؤمن بها إليوت سميث:

أولا: الإنسان عاجز عن الاختراع، لهذا فإن الحضارة لا تتطور إلا في ظروف استثنائية مناسبة، وعمليا لا يتم ذلك مرتين بشكل مستقل أبدا.

ثانيا: مثل هذه الظروف لم توجد إلا في مصر القديمة، لذلك فإن الثقافة عدا البعض من عناصرها الأكثر بدائية، كان المفروض أن تنتشر في أي مكان آخر انطلاقا من مصر بفضل تطور الملاحة.

ثالثا: الحضارة تراجعت بشكل طبيعي وهي تنتشر في مناطق متقدمة، لهذا فإن الانحطاط لعب دورا في التاريخ البشري[[7]](#footnote-8).

فالحضارة نشأت وازدهرت على ضفاف نهر النيل في مصر القديمة، فقبل 4000 عام قبل المسيح فإن الدين والتنظيم الاجتماعي، احتفالات الزواج ومراسيم الدفن، والبيوت والثياب وكل الفنون والحرف عدا تلك المستعملة في صناعة أدوات الصيد، لم توجد في أي مكان آخر خارج مصر وجوارها. إن الزراعة والري وصناعة الفخار وتربية الحيوانات والدين...كلها مظاهر حضارية تعتبر مصر موطنها الأصلي. والإنسان خارج مصر والمناطق المجاورة لها كان يعيش مثل القردة، وبالتالي فلا مجال لتطور مستقل في المناطق الأخرى من العالم، إن هنود أمريكا عاشوا مثل القردة وذلك حتى أوائل العصر المسيحي. وأهراماتهم الأولى لم تشيد إلا بعد خمسة أو ستة قرون بعد الميلاد ناسخة النموذج الكمبودي أو الياباني اللذين يعودان بدورهما إلى النماذج المصرية، أما شعائر التأهيل والجمعيات السرية الأمريكية فترجع إلى طقوس التحنيط المصرية، والطوطمية والتنظيم الاجتماعي في أستراليا ليسا سوى آثار مشوهة ومعدلة بطرق أخرى، أي نتيجة تبني ممارسات واعتقادات أخرى (بمعنى المعتقدات والممارسات المصرية)[[8]](#footnote-9).

وبشكل عام إن هذا الفرع من المدرسة الانتشارية يرد كل الثقافات الحالية إلى المنبع الأول والوحيد مصر القديمة، غير أن تلك النظرية لم تنجح في جذب المؤيدين لعدم توفر أنصارها على المقارنات الدقيقة والأدلة الثابتة ولذلك انحصرت لدى قليل من علماء مانشستر لذلك عرفت باسم مدرسة "مانشستر" أو "مدرسة مركز الشمس"[[9]](#footnote-10).

1. ***المدرسة الانتشارية الألمانية:*** يتزعم هذا الفرع فريتز جرايبنر F.Graebner (1877-1934) والأب وِلهالم شميدت Père W.Schimidit (1868-1959)، فهما يشتركان مع معاصريهما أمثال بواس وريفرز وراتزل في معارضة لوحات التطوريين عن العصور الأولى، ويفسرون تعقيد التاريخ الفعلي بواسطة التغيير عن طريق الاحتكاك. والتطور فيما يضيفان ليس موحدا، بحيث إن شعبا يمتلك تقنية بدائية يمكن أن تكون له في المقابل بنية اجتماعية أو شكل من العبادة متطور جدا.

واختلافهما مع أقرانهم الإنجليز، هو في أنهما افترضا وجود عدة مراكز حضارية أساسية في جهات متفرقة من العالم. وأنه نشأ عن التقاء الحضارات مع بعضها البعض نوع من الدوائر الثقافية وحدثت بعض عمليات الانصهار والتشكلات المختلفة، الشيء الذي يفسر أوجه الاختلاف عن تلك الثقافات المركزية أو الأساسية[[10]](#footnote-11).

فبدلا من القول بتطور فريد على النيل، تبعه انحطاط عام في كل مكان أكد الانتشاريون الألمان تطورا متعددا، أي تطورا نشأ في مناطق أخرى خارج مصر القديمة[[11]](#footnote-12).

والإنسان البدائي في نظر جراييبنر وشميدت كان يعيش في جماعات صغيرة، في مكان ما من آسيا، في إطار العزلة، ومن دون وسائل النقل طورت تلك الشعوب حضارات متميزة Kulturkreise ، ومع تحسن وسائل النقل كان تأثير هذه المراكز ينتشر بانتشار مجموع عناصرها وليس بانتشار كل عنصر على حدة، وإذا اقترب اثنان من هذه النظم فإما يلتحمان وإما أن يدمر أحدهما الآخر[[12]](#footnote-13).

**3-المدرسة الانتشارية الأمريكية:** وجد الاتجاه الانتشاري في أمريكا تعبيرًا له في كتابات فرانس بواس Franz Uri Boas العالم الطبيعي ( 1858- 1942)م العالم الطبيعي الألماني الذي استهوته الأنتربولوجيا بعد زيارة قام بها إلى جزيرة يافن في كندا عام 1883. لقد أشار بواس إلى أنه من خلال دراسة الشكل والتوزيع الجغرافي لمصدر السمات الثقافية وهجرتها واستعارتها عن طريق الاتصال بين الشعوب، يمكن للباحث أن يستدل على كيفية نشأة السمات الثقافية وتطورها، وبالتالي يمكن الوصول إلى نظرية تتوفر فيها عناصر الصدق والبرهان لتفسير المجتمعات الإنسانية وتطور النظم الاجتماعية أو السمات الثقافية. وانطلاق من هذا الفهم استخدام بواس مصطلح المناطق الثقافية الذي يشير إلى مجموعات من المناطق الجغرافية التي تتصف كل منها بنمط ثقافي معين بغض النظر عن احتواء أي من هذه المناطق على شعوب أو جماعات. ويشير مفهوم المنطقة الثقافية إلى طرق السلوك الشائعة بين عدد من المجتمعات التي تتميز باشتراكها في عدد من مظاهر الثقافة نتيجة لدرجة معينة من الاتصال والتفاعل.

 وفق هذا الإطار النظري سعت المدرسة الأمريكية بزعامة بواس إلى إنجاز الدراسة التاريخية الدقيقة للعناصر المختلفة لثقافة محددة وتحليل كل جزء أو عنصر من حيث مصدر تشأنه وتطوره واستخدامه وتتبع عمليات هجرته أو استعارته بين الشعوب المختلفة. وكان من نتيجة هذا الاتجاه الانتشاري أن أخذ علماء الإنسان في النظر إلى الثقافات الإنسانية بحسبان أنها تؤلف كيانات مستقلة من حيث المنشأ والتطور ومن حيث ملامحها الرئيسة التي تميزها عن غيرهم وهو يضع الاتجاه الانتشاري على عكس الاتجاه التطوري الذي يرى أن الثقافات متشابهة وأن الاختلاف الوحيد بينها يكمن فقط في درجة تطورها التقني والاقتصادي[[13]](#footnote-14).

 الممثل الآخر للاتجاه الانتشاري الأمريكي هو كلارك وسلر Clark Wissler ( 1870- 1947)م. متخصص في هنود الأقدام السوداء. Blak Feet، وهو مشهور بطرحه استعارة البحيرة والتي حسبها تنتشر سمة ثقافية في أمواج مشتركة المركز مثل الأمواج التي يحدثها رمي حجر وسط البحيرة. وبالنتيجة، إن سمة تكون أكثر قدمًا من المنطقة المعينة يعد شيئا مهما، وكذلك فإن السمة تكون أكثر وضوحا وهي بالقرب من مركز الانتشار أكثر مما تكون على الأطراف.

 إحدى الخصائص الكبرى للمدرسة الانتشارية الأمريكية هي أنها تحلل وقائع الانتشار بعيدًا عن المغالاة التي تميز غالبا التوجه الانتشاري الصارم. فالأمر يتعلق ليس بتكوين فرضية عموما غير قابلة للفحص في غياب وثائق مكتوبة أو براهين أركيولوجية، بقصد تحليل تماثلات مفترضة بين مجتمعات متباينة، ولكن على العكس الأمر يتعلق بربط عدد معين من السمات الاجتماعية ملاحظة في مجتمعات من نمط واحد ومتصلة بشكل مباشر أو غير مباشر، بواقعة مبينة تاريخيا.[[14]](#footnote-15)

لقد نتج عن الاتجاه الانتشاري بصفة عامة أن بدأ الأنتروبولوجيون ينظرون إلى الثقافة الإنسانية باعتبار أن لها كيانات مستقلة من حيث المنشأ والتطور والملامح الرئيسة التي تميزها عن غيرها، وذلك على عكس التطوريين الذين رأوا أن الثقافة متشابهة، وأن الاختلاف الوحيد بينها يكمن فقط في درجة تطورها التكنولوجي والاقتصادي، هذا التطور الذي يمثل أساس التعالي الغربي. لذلك فإن الفضل يعود إلى المدرسة الانتشارية في طرح فكرة تعدد الثقافات وتنوعها وهذا ما يعبر عنه بمفهوم النسبية الثقافية، يشير إلى هذا لكرك: لقد زعزعت المدرسة الانتشارية إلى جانب الاهتمام الوصفي الذي قام به بواس إن لم يكن إشكالية المدرسة، فعلى الأقل طريقتها. لقد تركت على الأقل الفهم الخطي للتاريخ ومن جهة ثانية جعلت نظرية التاريخ لاحقة لتحليل التواريخ الجزئية لكل مجتمع باعتباره مستقلا[[15]](#footnote-16).

 وقد ترتب عن الاتجاه الانتشاري مفهوم جديد للثقافة اختلف عن المفهوم التقليدي لتايلور. هذا المفهوم الجديد ينظر إلى الثقافة على أنها مجموعة من العناصر الثقافية، وتلعب عملية الانتشار دورا أساسيا في تجميع تلك العناصر في مجموعات أو مركبات وإما في تفريق عناصر مجموعة أخرى وانتقالها من مكان إلى آخر من عصر لآخر. والاختلاف الرئيس بين المفهومين يتمثل في أن مفهوم تايلور يؤكد تكامل وترابط العناصر الحضارية في المجتمع الواحد، أما الثاني فلا يذكر ذلك التكامل والترابط[[16]](#footnote-17).

لكن مع ذلك هناك انتقادات توجه إلى الانتشاريين سنذكر بعضا منها:

غموض مفهوم المركب الثقافي والعنصر الثقافي عند التطبيق فمثلا إن نمطا ثقافيا كالزراعة هل ننظر إليه على أنه عنصر ثقافي بسيط أم عنصر ثقافي مركب يتكون من عدة عناصر ثقافية بسيطة؟

من الصعب تحديد خطوط دقيقة تفصل بين منطقة ثقافية وأخرى، ومرد الصعوبة إلى تداخل المناطق الثقافية في الإقليم الواحد.

مفهوم المنطقة الثقافية قد يؤدي إلى الاعتقاد بالترابط بين البيئة الجغرافية والحضارات التي توجد فيها، وقد أثبتت الدراسات الميدانية نسبية ذلك الترابط، بحيث أن البيئات الجغرافية المتماثلة لا تستلزم طرقا معيشية واحدة، بل قد تختلف الثقافات اختلافا كبيرا ضمن البيئات الجغرافية المتشابهة، والعكس صحيح أيضا، فقد تتشابه الثقافات في إطار البيئات الجغرافية المختلفة. هذه جملة اعتراضات وجهها ديكسون Dixon ضد المدرسة الانتشارية[[17]](#footnote-18).

ومن الانتقادات التي يوجهها روبير لووي لها أيضا، هو تنبيهه إلى الخطأ الذي يترتب عن مسلمة الانتشاريين فيما يتعلق بالتشابهات بين المجتمعات والمناطق الثقافية التي تستدعي حسب منهجهم القول بأن أحدها مستعير والآخر معير، فالخطأ يكمن في أخذ التشابهات على أنها سمات متماثلة[[18]](#footnote-19) وبالتالي اشتقاق إحداهما عن الأخرى. وهكذا فلا يمكن القول بالانتشار لمجرد تشابه بين أشياء مادية أو مفاهيم أو عادات وتقاليد لدى شعوب بدائية تعيش في أمكنة متفرقة من العالم، يجب القول أن هذه الأمور قد انتشرت انطلاقا من عدد محدود من مراكز التطور الثقافي.

وأخيرا رغم الاختلاف بين المدرستين التطورية والانتشارية إلا أن هناك نقاط تقاطع بينهما. فكل منهما في الواقع تهتم بالماضي؛ بحيث عند دراستهما للنظم الاجتماعية تقومان بتتبع تاريخ تلك النظم. بمعنى أن النظم في المنظور التطوري تطورت عبر الانتقال من مرحلة إلى أخرى، وفي المنظور الانتشاري أن تلك النظم المتشابهة في مجتمعات منفصلة متباعدة تعود إلى اتصال قديم حدث بين تلك المجتمعات وهذا ما يمكن تتبعه تاريخيا.

وحتى فكرة التطور لا يمكن نفيها لدى الانتشاريين، يقول روبير لوي:" إن هؤلاء المؤرخين الكبار، الذين يقفون موقفا نقديا من مبدأ التوازي يعتقدون بالتطور اعتقادا راسخا.

فالواقع إن الإقرار بتبدل الثقافات بتبدل الأزمان وبترابط الخصائص الفريدة ترابطا عضويا يقود إلى القبول بوجود متوالية محددة، إن شميث متوجس دون ريب من كلمة "تطورية" غير أنه عندما يتكلم عن "مراحل التطور العام" أو عن المؤسسات الأمومية فمن البلاهة أن ننكر أنه يرتمي هنا في أحضان التطورية "[[19]](#footnote-20).

أما فيما يتعلق بموقف هذه المدرسة من الاستعمار، فإن جيرار لكرك يرى أنها تعتبر الاستعمار مثلا من جملة أمثلة أخرى على الاحتكاك بين المجتمعات. فانتشار المدنية المصرية في العالم كله الذي قال به إليوت سميث، إذا تم التسليم به، فهو لا يشير إلى انتشار سيطرة، بل إلى انتقال عنصر ثقافي معين من مجتمع مركزي إلى مجتمعات الأطراف. إن إطلاق اسم الانتشار على حقيقة الاستعمار لا يتم إلا بنوع من التحريف، أو بإعطاء الكلمة معنى أوسع مما تحتمل. هكذا فإن المدرسة الانتشارية تغطي حقيقة الاستعمار بمفهوم الانتشار مثلما يغطى بعبارات أخرى مثل "الصدمة الثقافية" أو "الاحتكاك الثقافي" أو "التثاقف" أو "التغير الثقافي"[[20]](#footnote-21).

في الأخير، ما مدى تأثير هذه المدرسة في الدراسات الأنتروبولوجية؟. لقد كان لهذه النظرية تأثير واسع في أمريكا لذلك هناك من يذهب إلى إدراج فرع ثالث لهذه المدرسة هناك. أما في إنجلترا فلم يطل أمد هذا التأثير والسبب ربما يعود إلى أن إليوت سميث وبيري وريفرز قد اشتطوا في استعمالهم لها. وربما لأن عمليات إعادة التركيب التي اعتمدتها سرعان ما تبين أنها لا تقل من حيث نزعتها التخمينية وعدم إمكانية التحقق منها عن إعادات التركيب التكوينية التي كانت الانتشارية تدعي انتقادها.

إذا كان عيب الانتشاريين هو سقوطهم في التخمينات مثلما سقط فيها التطوريون وميلهم إلى تفسير الثقافة بناء على الماضي الذي لا يمكن تقديم الأدلة القاطعة بشأنه ما يفتح المجال للتخمين، إذا كان الأمر كذلك فهل النجاح في كشف حقيقة الثقافة يتوقف على العزوف عن الاهتمام بالماضي والالتفات إلى الواقع الفعلي، الواقع الحاضر؟

ولكن وجهة نظر بواس في الانتشار تختلف عن وجهة نظر إليوت سميث وبيري وغرايبنر وشميدت وانتشاريين آخرين لأنه ركز فيما يذكر هيرزجوفتش على النقاط التالية:

\* الدراسة الوصفية للانتشار تكون مرحلة تمهيدية للدراسة التحليلية للعملية.

\* دراسة الانتشار يجب أن تكون استقرائية، فيما يخص السمات المشتركة (المركبات الثقافية) للثقافات المفترضة أنها انتشرت، يجب أن يؤخذ في الاعتبار علاقاتها الداخلية بدلا من اعتبارها مجموعات مصنفة اعتباطيا من قبل عالم ما.

\* دراسة الانتشار يجب أن تباشر من الخاص إلى العام، راسمة توزيع السمات في مناطق محددة قبل رسم خارطة لتوزيعها على أساس قاري حتى لا نقول العالم كله.

\* منهج دراسة العمليات الدينامية، التي ليس الانتشار سوى تعبير واحد عنها، يجب أن يكون سيكولوجيا ويرجع إلى الفرد من أجل فهم حقائق التغير الثقافي.

5)- وخلاصة القول: إن الانتشار الثقافي أو الاستعارة الثقافية تمثل أحد العوامل الكثيرة التي تقف وراء التغير أو التطور الثقافي، وبالتالي فالمدرسة الانتشارية يعود إليها الفضل في الإشارة إلى أهمية عامل الانتشار ولكن خطأها ينتج عندما تقول به وحده وتنكر العوامل الأخرى التي قالت بها مدارس أنثروبولوجية أخرى.

**ا**

**ا**

1. ينظر روبير لووي، لووي روبرت ، **تاريخ الإتنولوجيا: من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية**، ترجمة نظير جاهل، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2، ص 88. [↑](#footnote-ref-2)
2. **نفسه،** ص 76. [↑](#footnote-ref-3)
3. **نفسه،** ص 97. [↑](#footnote-ref-4)
4. Robert Löwie، **op. cit.،** p. 146. [↑](#footnote-ref-5)
5. أحمد أبو زيد، **محاضرات في الأنتروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت –لبنان، 1978.، ص 60. [↑](#footnote-ref-6)
6. حسين فهيم، **قصة الأنتروبولوجيا: فصول وتاريخ علم الإنسان**، سلسلة عالم المعرفة، عدد 89، 1990، ص 123. [↑](#footnote-ref-7)
7. Robert Löwie، **Histoire de l'ethnologie classique،** Traduit de l'américain par Hervé Grémont et Hélène Sadoul، Editions Payot، Paris، 1991**،** p. 147-148. [↑](#footnote-ref-8)
8. **Idem،** p. 148-149. [↑](#footnote-ref-9)
9. عاطق وصفي، **الأنتروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1971، ص 50. [↑](#footnote-ref-10)
10. حسين فهيم، **مرجع سابق،** ص 124. [↑](#footnote-ref-11)
11. Robert Löwie، **op. cit.،** p. 163. [↑](#footnote-ref-12)
12. Robert Löwie، **op.، cit.،** p. 163. [↑](#footnote-ref-13)
13. - جمال في عمار الأحمر، **الأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية**، دار الأيام منشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص 77- 78. [↑](#footnote-ref-14)
14. - Alain Bajomée, **éléments d’anthropologie cultirrelle**, les editions de Céfol, liege, Belgique, 2012, p 97. [↑](#footnote-ref-15)
15. جيرار لكرك، **الأنتروبولوجيا والاستعمار**، ترجمة جورج كتورة، الهيئة القومية للبحث العلمي، طرابلس- ليبيا’ معهد الإنماء العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1986’ ص 60-61. [↑](#footnote-ref-16)
16. عاطف وصفي**، الأنتروبولوجيا الثقافية، مرجع سابق،** ص 53. [↑](#footnote-ref-17)
17. **نفسه،** ص 46-47. [↑](#footnote-ref-18)
18. Robert Löwie، **op. cit.،** p. 168. [↑](#footnote-ref-19)
19. **ينظر المرجع نفسه،** ص 154. [↑](#footnote-ref-20)
20. جيرار لكرك، **مرجع سابق**، ص 76. [↑](#footnote-ref-21)